د. انيس فوزي قاسم*

الحرب كانت مخططة امريكيا والدمار الذي لحق باسرائيل اكبر:

مشاهدات عائد من لبنان

■ بعد رحلة الى بعض قرى جنوب لبنان والضاحية الجنوبية من بيروت ومشاهدة اثار الدمار والحديث الى الناس، يعود الزائر بحفنه من الملاحظات والانطباعات. ان اول هذه الانطباعات ان حجم الدمار ونوعيته لا ينبئان عن وجود معارك بين جيش نظامي وقوات مقاومة، بل ان الدمار ينبىء عن حقد كريه يمارسه جيش نظامي ضد السكان المدنيين. اذ لا يستطيع الزائر استيعاب كيف يتم تدمير ثلاث او اربع بنايات سكنيه تدميراً كاملاً، ويجد بناية اخرى لصيقة بتلك البنايات المهدمه سالمة الا من شظايا بسيطة، وهكذا يتكرر هذا المنظر بوضوح في قرى مثل الخيام، وكما هو واضح في الضاحية الجنوبية. يستثنى من ذلك المربع الامني في الضاحية حيث تمّ تدميره بعملية منظمة ومستهدفة بما في ذلك منزل السيد حسن نصر الله. وقد يكون من المبرر استهداف جسر رئيسي مثل جسر الزهراني، الاّ انه لا يمكن فهم او تفهم تدمير جسور صغيرة لا تحمل دلالة عسكرية بل هي اقرب الى ربط شقي بلدة.

لاشكّ ان الجيش الاسرائيلي الذي كان يتباهى بـ «نظافة سلاحه» قد مارس حرباً لا اقذر ولا احقد. انه يدلل على فقدان هذا الجيش ضوابطه والتزاماته، وافرغ حمولة من الحقد على المدنيين بعد ان فشل في النيل من عناصر المقاومة. انها ممارسة جيش بلغ حدّ اليأس وضلّت به السبيل وليس امامه اهداف محددة لعملياته. لقد خرج الجيش الاسرائيلي ملطخاً بعار الدم البريء على سلاحه، وهذه اكبر ادانة اخلاقية (عدا القانونية) للجيش «الذي لا يقهر».

ان ثاني هذه الانطباعات هي التعرّف على «حزب الله». هذه ظاهرة عربية غير مسبوقة لا على مستوى التنظيمات الحزبية ولا على مستوى الدولة. يتمتع هذا الحزب بقدرة غير عادية في التنظيم على كافة الاصعدة. من المعروف انه ادار الحرب بكفاءة عالية وتدريب منضبط وبروح قتالية دمرت معنويات الجيش الاسرائيلي، وبسلاح لم يتم اكتشاف اية قاعدة صواريخ او مخبأ اسلحة له، وبجهاز استخباراتي مثير للدهشة والاعجاب، وبقدرة لوجستية فعّالة. الاّ ان قدرة هذا الحزب تتجلى كذلك في العمل بعد انتهاء العمليات الحربية. لقد تمّ فعلاً صرف مبلغ اثني عشر الف دولار لكل من تهدم مسكنه لايواء اسرته مضافاً اليها ثلاثة الاف دولار للتأثيث. ومن تضرر منزله، تقوم لجنة بتقييم الضرر وتحديد المبلغ اللازم لاصلاح الاضرار. فان لم يوافق ذلك صاحب العلاقة يستانف الى لجنة ثانية التي تقوم باعادة التقييم، فان لم يقبل صاحب العلاقة قرارها، ذهب الى لجنة عليا ويكون قرارها نهائياً. وتتم عمليات الصرف والتقييم بدون تعقيدات اداريه او فرض شروط تعجيزية او الدخول في اجراءات روتينية.

اما المباني التي هدمت بالكامل، فان عناصر الحزب يقومون بحراسة المبنى بمجرد انتهاء الغارة الجوية، ويمنعون اي شخص من الاقتراب حفظاً على موجودات الناس المتضررين، ولا يتم البدء بازالة الانقاض الاّ بعد دعوة اصحاب البناية المهدمة للحضور واخذ ما يخصهم من ممتلكات او اية اشياء ثمينة. وما يتم العثور عليه بين الانقاض فيما بعد، يحفظ في صندوق امانات مع وضع البيانات الكافية عليه.

وزرنا بيوتاً القيت في حدائقها وساحاتها قنابل عنقودية، وقد شاهدنا بعضاً منها، وقد حذّر مهندسو الحزب ساكني هذه البيوت من العبث بها الى ان يتم جمعها وتفجيرها، وشاهدنا فرقاً من حزب الله يطرقون البيوت بيتاً بيتاً لتوزيع عبوات المياه المعدنية عليها. سيما في القرى التي تضررت فيها شبكة المياه. وعلمنا ان المهجرين الذين نزحوا الى بيروت لم يعتدوا على بيت او محل بقالة، بل كانوا في حالة من الانضباط والسلوك وهذا بخلاف ما وقع اثناء الحرب الاهلية. ولا شك ان عناصر الحزب لعبت دوراً في ضبط هذه الحالة.

والاهم من كل ذلك، انه بمجرد توقف القتال، طلب الحزب من جماهيره العودة الى الجنوب. وفي خلال ايام، عاد مليون نازح تقريباً الى قراهم برغم تقطع الطرق والجسور وانعدام البنى التحتية في الكثير من القرى التي مرّ منها الاسرائيليون، وبرغم مخاطر القنابل العنقودية التي ـ كما قالت صحيفة «هآرتس» في افتتاحيتها تاريخ 2006/9/18 «اغرقت المنطقة» في الايام الاخيرة للحرب وذلك «بقرار اخذ» من قادة الجيش، الاّ ان جماهير الحزب لم تتردد في العودة.

ويلحظ الزائر ان العمل جار في ازالة الانقاض مما يعني توفير تلك الاليات الضخمة والشاحنات وفرق المهندسين والمراقبين والعمال بالاضافة الى فرق الحراسة والرقابة. وعلمنا ان هذه الانقاض تنقل الى موقع تمّ استئجاره من قبل الحزب، حيث ان الحكومة لا زالت تناقش في تحديد الموقع والتكلفة، ولم تقرر بعد.

ان هذه العمليات تعني «ادارة» ذات كفاية عالية وتدريب عال وقيادة تتمتع بمصداقية عالية. وبالمقارنه، لم نسمع عن اي حركه شعبيه او حزب سياسي ـ على الاقل في المنطقة العربية ـ استطاع ان يجند هذه الطاقات ويدير عمليات بحجم العمليات التي يشاهدها الزائر. بل واكثر من ذلك، ربما لا نجاوز الحقيقة اذا قلنا ان ما يقوم به حزب الله لا قدرة لدولة ـ على الاقل في المنطقة العربية ـ على القيام به. واننا نعلم عن حالات سقوط الثلج في بعض الدول بمعدلات لا تتجاوز بضعة انشات، او حالات امطار غزيرة، لترى ان مرافق الدولة قد تعطلت.

من هنا، يمكن القول ان حزب الله ظاهرة جديرة بالدراسة والاقتباس وذلك بغض النظر عن موقف المرء السياسي او المذهبي من هذا الحزب.

اما ثالث هذه الانطباعات والجدير بالاهتمام فهو هذا التلاحم العضوي بين جماهير الناس وحزب الله. لا شكّ ان لبنان يعاني الان من انقسام سياسي حاد بين جماعة 14 اذار (وتضم عناصر من مختلف الاطياف السياسية والمذهبية) وبين جماعة حزب الله (وتضم كذلك عناصر من مختلف الاطياف السياسية والمذهبية)، الاّ ان التلاحم الذي يشاهده الزائر الى الجنوب يعني ان حزب الله يتماهى مع جماهير الناس. وبتوصيف ادق، انه «حزب الشعب». ترى الناس البسطاء وتسمع قادة راي وكتاباً وعمال مطاعم وكانهم اعضاء في حزب الله وهم ليسوا كذلك. ويتساءل المرء، كيف يمكن تجريد «الشعب» من سلاحه؟! ان هذا يدلل على صدق ما قالته وزيرة الخارجيه الاسرائيلية، من انه لا توجد قوة تستطيع تجريد هذا الحزب او تفكيكه. انه الشعب، والشعب هو حزب الله.

اما الملاحظة الاهم فهي النقاش الذي يدور حول قيمة ما قام به حزب الله بالمقارنة مع الخسائر والدمار الذي الحقته القوات الاسرائيلية بلبنان، ويقول هؤلاء هل ما تعرض له لبنان يستحق اسر جنديين؟ الم يكن اولى بحزب الله ان يكون اكثر رشداً في تصرفاته وبذلك يكون قد وفّر على لبنان كل هذه المآسي؟

الظنّ ان هذه اقوال فيها سذاجة اكثر مما فيها عقلانية. بداية، لا بدّ من تسجيل السوابق التي خطف فيها الحزب جنوداً اسرائيليين وتمّ تبادل الاسرى على اثرها. وحدث هذا سابقاً مع حزب الله ومع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة ـ. وكانت عملية خطف الجنديين لا تخرج عن هذا السياق، سيما وان العقلانية التي طغت في السابق كان من المفروض ان تطغى على هذه الحالة؛ اذ لا يعقل ان تستخدم دولة كل قوتها للافراج عن جنديين. ففي السابق، اعتقلت كوريا الشمالية (في كانون الثاني ـ يناير 1968) سفينة التجسس الامريكية بويبلو وعلى متنها (82) من رجال البحارة، وكان بامكان الولايات المتحدة مسح كوريا الشمالية من الخريطة، الاّ انها انخرطت في مفاوضات دامت احد عشر شهراً الى ان تمّ الافراج عن البحارة. وبعد انتصار حركة الامام الخميني، تمّ اعتقال كافة العاملين في السفارة الامريكية في طهران، ولجأت الولايات المتحدة الى محكمة العدل الدولية والى مجلس الامن الدولي الى ان تمّ الافراج عنهم. وكان بامكان الولايات المتحدة اللجوء الى اعمال عسكرية عنيفه للافراج عن مواطنيها. ومع ذلك، لجأت الى العقلانية في سبيل الافراج عنهم. وقياساً على ذلك، فان من الاولى ان يوجه الناقدون لعملية حزب الله سهامهم الى تصرفات اسرائيل وردة فعلها التي خالفت فيها كل السوابق المحليّة والدولية، كما ان ردة فعلها كانت بعيدة عن تصرفات دولة مسؤولة، بل مارست ردة فعل العصابات.

وثانياً، لم يترك الصحافي الامريكي الشهير سيمون هيرش فرصة لهذه الاقوال الساذجة ان تمرّ، فقد نشر مقالاً طويلاً وموثقاً على عادته في ان التنسيق بين الولايات المتحدة واسرائيل كان مستمراً لترتيب خطة الاعتداء على حزب لبنان في تشرين الاول (اكتوبر) القادم، وان الزيارات المتبادلة بين اجهزة الاستخبارات في الدولتين كانت مستمرة، وان الاستراتيجية كانت تستند الى القصف الجوي العنيف لضرب مواقع صواريخ حزب الله. وان هذه العملية ستكون مقدمة لاية حرب سوف تخوضها الولايات المتحدة ضد ايران. ونقل هيرش عن المستشار الامني للكنيست الاسرائيلي قوله ان مسالة ضرب حزب الله «ليست الاّ مسألة وقت». فالضربة كانت قادمة سواء تمّ الخطف او لم يتم، اذ ان الخطط كانت جاهزة والتنسيق مستمر وكانت المسألة فقط هي متى؟

وثالثاً، من المؤكد ان دماراً كبيراً قد حلّ بلبنان ولا سيما في جنوبه وفي الضاحية الجنوبية من بيروت، ولكن هذا الدمار قابل للاصلاح والترميم، ومنه ما يرمم آجلاً ومنه ما يعاد بناؤه بعد فترة زمنية. وطبعاً لكل هذا تكلفة. اما الدمار الذي اصاب اسرائيل فانه غير قابل للاصلاح. والقصد هنا هو الدمار الذي لحق بالبنية السياسية والاجتماعية. ان من يطالع الوضع الداخلي في اسرائيل يشعر وكأن حرباً اهلية قد اندلعت بين جنرالات الجيش، وبينهم وبين القاده السياسيين، وبين قيادة الدولة واحزاب المعارضه. وعلى سبيل المثال فقط، فقد انتقد رئيس الاركان الاسرائيلي السابق، موشيه يعلون، رئيس الوزراء وقد نعى عليه عدم خبرته العسكرية، فرد رئيس الوزراء بجواب حاد مستهزئاً «اي حرب ادار بوغي (يعلون)؟.. هل الدخول الى مخيم لاجئين في جنين؟ اهذه حرب؟» (هآرتس 2000/9/21). حتى ان تشكيل لجنة لتقصّي الحقائق تثير مطاحنات ومشاحنات بين رئيس الوزراء ووزير دفاعه، وفي النهاية لم تشكل لجنة تحقيق رسمية، فقد رفض رئيس الوزراء لجنة «لفحص جذور الاخفاقات والتقصيرات في الحرب..». وقام مراقب الدولة بتوجيه جهازه لتفحص جميع افعال الحكومة ووزرائها وهيئات المراقبه فيها (هآرتس 2006/9/20). وهذه الخطوه وجدت معارضه من رئيس الحكومة. ويتساءل قادة اسرائيل عن كيفية «ترميم قوة الردع الاسرائيلية» (يديعوت احرونوت، 2006/9/20)، وعلقت «معاريف» على الوضع الاسرائيلي بقولها: «لقد عافت نفس الجمهور العريض منظر القادة المتنازعين فيما بينهم، ويزداد الشك في قلوب الكثيرين حول قدرة هذه الحكومة على تصحيح الاخطاء والتقصيرات...» (2006/9/20).

وبعد، فاني ادرك ان آلام الناس لا يمكن تعويضها بسبب فقدان عزيز، ولكن رايت سيدة من الجنوب على شاشة التلفزيون وقد هدم بيتها وكانت تقف الى جواره، واجابت المراسل الذي يسالها عن الدمار الذي لحق بها: «ومين بيعتقد انه بيعمر ويبني ويظل عماره قائم واسرائيل الى جواره؟!». لا اعمار مع وجود اسرائيل. انه درس لكل الطامحين الى سلام مع هذه المستوطنة المتوحشة.

* محام مقيم في الاردن

حمدان حمدان*

امريكا والعالم الاسلامي:

حالة انكار او استكبار ام حالة اختلال؟

■ قد يكون الانكار ناجما عن جهالة، وهذا في الازمنة القديمة من حياة البشرية، اما الانكار في العصر الذي نعيش، فهو العناد في التجاهل، خاصة اذا كانت الحقائق ساطعة بمثابة بدهيات لا تحتاج الى عناء البرهنة او اقامة الدليل النافل.

وفي حالة الانكار الامريكية، لما يجري لسياساتها ومصالحها، في العالم، فان هناك سببا للدمج بين الجهل والتجاهل، خصوصا ونحن ازاء ادارة يمينية محافظة، كان لها نصيبها الوافر، من قصور الفهم في حقل المعرفة بتاريخ الشعوب، وتاليا، التعلم من تجارب هذا التاريخ ودروسه.

ففي الاطروحات الرامية للنزاع بين الاديان، كان ثمة ما يقال، قبل صراع الحضارات (هانغتون)، فحسب مزاج الرئيس رونالد ريغان، فقد كان الرجل القادم من الكومبارس الهوليوودي، مولعا بتعقب النبوءات التوراتية طبقا لما يجري في ساحات العالم واقعيا، ولما كان لريغان، رأي في ضرورة دعم ارادة السماء، من الانسان على محور الخير، فانه لم يكن لديه مانع، من ازاحة بعض الانحرافات من وجه النبوءة، وعلى هذا، فان ريغان، كان يحمل كتاب النبوءات (العهد القديم) بيد، وعلبة الازرار النووية بيد اخرى، ولولا لطف الله في الانقلاب على نظام هيلاميريام الاثيوبي الماركسي، لكان عليه تصحيحا لمطابقة اثيوبيا مع محور الخير حسب النبوءة، ان يضرب (اثيوبيا ميريام) بصواريخ نووية، كيما يسترد الواقع رشده، فيصبح متماهيا مع النبوءة وليس عكسها، وهي كوميديا صينية تقول بقص القدم لمواءمة الحذاء!

ومـا من شك، ان من يؤمن بمثل هذه النبوءات، الطافحة بالدموية الى درجة انهاء الزمان (هرمجدون) عبر اقتتال كوني تصل فيه الدماء الى (شكائم الخيل) بحيث تفنى ثلاثة ارباع البشرية (التي هي محور الشر) لصالح الخلود الابدي في الفية سعيدة لاخرين، وهذه الصورة المقطرة بكثافة عنصرية، الواقعة في الضمير المستتر لانتخاب تدعي المدنية، انما تشكل الفضاء الخلفي، لما سمي اساسا، بالمشروع الاستباقي، لمواجهة خطر قادم من الشرق اسمه الاسلام.. وقد تم الاستعداد لهذا المشروع، مع الحجر الاول الذي سقط من جدار برلين، اذ قبل (صراع الحضارات) و(نهاية التاريخ) كان المفكرون في مدرسة المحافظاتية الجديدة، او ما هو من جنسها وعلى شاكلتها، يؤدلجون للفروق الخطيرة، بين ما كان شيوعيا، وما هو اسلامي قادم، ولعل المجال يسمح باختصار هذه المفارقات كما قيلت في حينه، فالشيوعية مثلا، ايديولوجية فكرية اقتصادية تاريخية وسياسية، ما لبثت ان تحولت الى انظمة سياسية في اطار توحيدي اكراهي هو الكتلة الشيوعية، وقد تم انهيارها من داخلها، نظرا لكونها باتت ايديولوجية حكومات لا ايديولوجية شعوب، اي انها سقطت بالممارسة، اكثر من سقوطها في الفكر. اما الاسلام، فتكمن خطورته، في انه يظل ايديولوجية شعوب في مرتبة عقيدة قدسية لا يجوز لحاملها، ان يرتد عليها او ينفض منها، فاذا ما سقط جدار اسلامي، فان السقوط يكون للاسلاميين وليس للاسلام في ذاته، والشاهد، ان الحراك الاسلامي، في صحوته وسباته، وفي توافقاته ونزاعاته، وفي حروبه وسلامه.. ظل دائرا من الف واربعمئة سنة ونيف، لا يتوقف عن الدوران، وفي ذلك ما يرد الى ماهيته في طاقة لا تنضب من طلب الحضور الى التاريخ، فمن عصر النهضة، الى اليقظة او الصحوة، ومن السلفية الاصولية، وما اعقبها من تفرعات واجنحة، فانها كلها وسواها، في محل اجتهادات وتصورات، تهدف الى غاية واحدة، استنهاض الامة واسترداد الهوية.

اما الخطر الاسلامي الآخر، الذي نظر اليه الغرب، فكان يتمثل في صدفة غير سعيدة، امتلاك العالم الاسلامي للطاقة النووية او على الاقل (اسلحة دمار شامل من نوع ما) اضافة الى رصد الهجرة الاسلامية الى بلاد الغرب، والعمل على درئها ومحاربتها، بشتى الذرائع القانونية التي تصدرها الحكومات طبقا لمراحل متناوبة.. فالاسلام بهذه المعاني اخطر من الشيوعية بما لا يقاس، وهكذا مع انتهاء الحرب الباردة اواخر الثمانينات، فقد استعد الغرب الامريكي، لملاقاة عدو مباشر هو في المخيلة وليس في الواقع، والمشكلة في تاريخ امريكا، ان الامريكي (الساكسوني) يقتل عدو المخيلة في الواقع، وذريعته انه في استباقه الى القتل، كان في حالة دفاع عن النفس، ففي مثل هذه الحالة مثلا، حالة الدفاع عن النفس، كان يتم تطهير امريكا من سكانها الاصليين، وهي فرصة مواتية لتكرار التجربة في التاريخ.

لقد صادف ان ما كان ينقص امريكا للخروج الى العالم، هو احداث ايلول (سبتمبر) بالضبط، اذ رغم العيون الباكية على الضحايا في الداخل، فانها في الشبكية ما تحت البؤبؤ، كانت تنظر الى الحدث المأساوي، على انه اهتبال مناسبة، اذ لا وقت للاحزان والعواطف، ويؤكد بوب وودورد في كتابه «بوش في حرب» انه على مائدة الافطار التي جمعت بين جورج تينت مدير وكالة المخابرات المركزية السابق، وديفيد بورين رئيس لجنة الامن القومي في الكونغرس، في فندق سان ريجيس، الساعة الثامنة والربع من صباح يوم ضرب الابراج، وفيما يتقدم الوقت مع مشهد الافطار، واذا بحارس تينت يتقدم قليلا: سيدي، هناك كارثة، فقد تم ضرب ابراج التجارة في نيويورك) وعلى الفور يلتفت تينت الى بورين وبصوت مشحون «ذلك عمل بن لادن ولا احد غيره»! وكان الفارق الزمني بين الحدث والتعليق، لا يتجاوز ربع الساعة فقط.

ثم ما لبثت ان تحولت الاحزان الى خطة شاملة لمطلوبات عاجلة وضرورية، منها، تصدير الصدمة المفاجئة الى خارج الولايات المتحدة قبل انتظار التفاصيل، اي لا بد من تحديد عدو خارجي على الفور، تلقى عليه المسؤولية، لان التفاصيل لا بد ان تشير اليه، ومن المطلوبات ايضا، استدعاء الوطنية الامريكية في اطار جامع، تقطع الطريق على اي تساؤل، بحيث يصبح مجرد الشك في مرتبة الخيانة، كما ان هناك حاجة روحية الى (استدعاء الدين) ليلعب دوره الايماني في الاصطفاف الجماعي، حيث ظلت خطة المطلوبات تتوالد، الى ان انتهت مع الليلة الثانية لحدث 12 ايلول (سبتمبر) مع بزوغ الشمس على البيت الابيض. ومن هذه الخطة التي صيغت بدموع الاحزان على ضحايا ايلول (سبتمبر)، تخلقت الفكرة لغزو افغانستان، بوابة العبور الى الشرق الاوسط الكبير، ومن بعده العراق، واسطة العقد الذهبي في الاوسط الكبير نفسه.

وفيما تنقلب الاحزان، الى استراتيجية حاملات وطائرات، وصواريخ ذكية وغير ذكية، فان احداث ايلول، تنقلب الى مجمع ذرائع، وقد عززت الوقائع اللاحقة، باعترافات امريكية رسمية وبرلمانية جمهورية وديمقراطية، الا صلة للعراق في كل ما تم تضمينه من ذرائع الغزو، (اسلحة دمار، صلة بالقاعدة، يورانيوم النيجر.. الخ)، اما محاربة الديكتاتورية وتصدير الديمقراطية على الطريقة الامريكية، فذريعة لاحقة لاسعاف ما تم اخفاقه في الذرائع السابقة.

ومع المشهد المأساوي الفظيع، في العراق منذ بدايات الاحتلال، وفي افغانستان اليوم، فان الرئيس بوش، يعاند الواقع بازدراء مؤسف، واحيانا اخرى، بعصبية واضحة، فكما لم يهمه بالامس من الدماء، سوى الافتتان بوهج النفط، وهي قضية وراثية عائلية، باضافة ضمان امن اسرائيل، وهي قضية عقيدية ومتوارثة ايضا، فانه اليوم، وامام ست عشرة وكالة امنية امريكية لا يهمه من تقريرها الجامع والمشترك، سوى التسريب، فبوش ناقم اشد النقمة، على مسربي الاسرار الى الصحافة الامريكية، اي ان الحقائق التي جاء عليها التقرير، لا اهمية لها بالنسبة لرئيس تعاني بلاده، ما لم تعانه في تاريخها من قبل، فاذا ما استمر هذا الاتجاه في السياسة الامريكية، كما يقول التقرير في فقرة من فقراته (فان الهجمات ضد المصالح الامريكية في الداخل والخارج، ستزداد عنفا) وعن الوضع في العراق فقد اصبح النزاع العراقي (قضية شهيرة) تغذي ضغينة عميقة حيال الوجود الامريكي في العالم الاسلامي، كما تؤدي الى تزايد متعاطفين مع الحركة الجهادية على مستوى العالم، ويشكل الجهاد في العراق، جيلا جديدا من القادة والعناصر (الارهابية) فيما يستغل تنظيم القاعدة، الوضع العراقي لاجتذاب متطوعين وممولين، فاذا ما لاح في الافق، انتصار للجهاد في العراق، فان ذلك سيلهم مزيدا من المقاتلين لتوسيع الجهاد في اماكن اخرى من العالم.. وسوف تتفق تنظيمات متطرفة سنية اخرى، كالجماعة الاسلامية وانصار السنة ومجموعات اضافية في شمال افريقيا، فتصبح اكثر فاعلية لتنفيذ هجمات اشد كثافة خارج المناطق التقليدية لعملياتها.

وامام هذه القراءة الجادة والمسؤولة من كامل مجموع الوكالات الامنية الامريكية، فان رد الفعل السريع للرئيس بوش، وفي موتمر صحافي مشترك مع الرئيس ـ الصورة ـ كرزاي، كان في قوله (في اعتقادي انه لو لم نكن في العراق، لكانوا وجدوا عذرا آخر) ويضيف (ان وراء التسريبات دوافع سياسية، وان الهدف هو ضعضعة الامريكيين).

وهكذا، فان الهدف الذي لم يقله بوش في النفط، يقوله هنا في الانتخابات النصفية للكونغرس، فمصلحة النفط، قضية غير قابلة للتسريب ولا الاعلان، اما مصلحة الحزبين في الانتخابات، فقضايا قابلة للتسريب والاعلان، وهناك ـ في مجال هذه المصلحة ـ ما هو اكثر قابلية للفضيحة والاعلان، فمن اجل حرق السفير الامريكي السابق في النيجر، تم فضح الوظيفة السرية لزوجته كعميلة استخبارات، ورغم ان الفضيحة انطلقت من مكتب نائب الرئيس ديك تشيني، فان التسريب هنا، لا اهمية له، او في اعلى الحالات، استقالة مدير مكتب تشيني مع ملاحقة قضائية لم نعرف نتائجها لما احيط بها من صمت اعلامي.

ان ما يثير الدهشة، ان مثل هذه التسريبات في عرف الرئيس بوش، هدفها ضعضعة الامريكيين، اما حقائق امريكا في العالم وخاصة الاسلامي منه، فانها لا تضعضع الوضع الامريكي برمته، وفيما تتزايد حالة الانكار البوشية، فان حالة امريكا الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية، تزداد تضعضعا في الواقع والارقام، فامريكا لم تحظ بمثل هذه الكراهية، من شعوب العالم، مثلما حظيت به في الزمن البوشي، وامريكا لم تغرق في ديونها الداخلية والخارجية، مثل مديونياتها في الزمن البوشي، ولا نعرف ما الذي يدفع بمجلس النواب الامريكي، على الموافقة على مشروع قانون من البنتاغون (وزارة الدفاع)، يقضي بتقديم سبعين مليار اضافية لحربي العراق وافغانستان، اذ ما الذي فعلته اربعمئة مليار سابقة للعراق وحده، ما الذي فعلته، غير ارسال المزيد من النعوش الملفوفة بالعلم الامريكي، وعشرات الوف اخرى من الجرحى والمضروبين بعاهات دائمة، تحرج اصحابها من حياة السوية الانسانية.

من جانبنا، ما الذي فعلته هذه المليارات الامريكية، سوى قتل مئات الالوف في العراق وفلسطين وافغانستان.. وبلا طائل.

فالمقاومة في العراق تشتد (افظع اسبوع دموي كان في العراق منذ بداية الاحتلال، كان الاسبوع الماضي من كتابة هذه السطور)، والمقاومة الفلسطينية لا تهدأ، حتى مع مرحلة التهدئة المطلوبة رئاسيا، والمقاومة الافغانية تولد وتتصاعد من جديد.

وما لم يفهمه بوش، هو انك تستطيع قتل العربي والمسلم، لكنك لا تستطيع ان تقتل روحه، ففي روحه عقائدية لا تموت، من حيث هي الوراثة في الارث، والجينات في الخلية، فالعالم العربي الاسلامي، ما زال يقارع منذ الحملات الصليبية، وربما ابعد، وهو لا بكل حتى في الفوات بين المراحل، فهو ما يكاد يموت، حتى يعود الى الحياة من جديد، والشاهد اننا نموت فرادى في المعارك، لتعود جماعات في معارك مقبلة، فاذا كان السيد بوش، واسلافه الغابرون، قد اعتادوا شراء الولايات، والسيطرة على جمهوريات الموز، والعوم عند بلاجات هاواي، والنوم على غطرسة القوة الاحادية التي ترعب العالم، فان في الشرق الاوسط الكبير، شعوبا اخرى، ومع هذه الشعوب، فان حالة الانكار لا تطول، فالرئيس بوش ينظر الى دماء الاخرين وفقرهم وادقاعهم وبؤسهم (وهم ثلاثة ارباع البشرية)، من ثقب الانتخابات النصفية، او من نافورة البئر النفطية سيان.. ولا يدرك السيد بوش، ان العالم كله، يريد حياته وكبرياءه وحقه في المواطنة والعيش الكريم.. ولا يعنيه ما يعني بوش لا على الصعيد الرئاسي والحزبي والمالي وحتى الشخصي، فما يعني الشعوب ان تترك حرة في مصائرها، وما يعنيها ان يذهب بوش مع حالة انكاره او اختلاله.

* كاتب من فلسطين يقيم في سورية

د. جمال المجايدة*

6 سنوات على الانتفاضة: حصاد الدم والدمار!

■ مرت الذكرى السنوية السادسة لانتفاضة الاقصى، التي اندلعت بتاريخ 2000/9/28، اثر الزيارة التي قام بها اريبل شارون رئيس الحكومة الاسرائيلية السابق، للحرم القدسي الشريف في القدس المحتلة. مرت الذكرى وسط استمرار قتل الشعب الفلسطيني بطائرات ال اف ـ16 والاباتشي الامريكية الصنع للابرياء في قطاع غزة ووسط خلاف دام بين حركتي فتح وحماس على السلطة اشتدت وتيرته مع حلول اول ايام رمضان المبارك، الذكري تمر فيما تزداد حدة الحصار الخانق والجوع والارهاب بكافة صورة واشكاله ضد الابرياء في قطاع غزة والضفة الغربية، ودون ان يتنبه الاشقاء المتصارعون في السلطة في فتح وحماس علي مصير الوطن الفلسطيني الذي بات مهددا بالعدوان واعادة الاحتلال او الوصاية العربية والاسرائيلية مرة اخرى.

لكي لا ننحرف عن الموضوع الاساس وهو العدوان نقول انه على مدى السنوات الست الماضية، اقترفت قوات الاحتلال، وبدون توقف، سلسلة طويلة من جرائم الحرب والانتهاكات الجسيمة ضد المدنيين الفلسطينيين بشكل لم يسبق له مثيل منذ العام 1967.

وشهدت هذه الاعوام الستة من الانتفاضة تصاعداً بوتائر متسارعة في جرائم الحرب التي تقترفها تلك القوات ضد المدنيين الفلسطينيين وممتلكاتهم، فيما شهد هذا العام تصعيداً جديداً ايضاً في تلك الجرائم.

فيما تواصل هذا التصعيد في ظل استمرار مؤامرة الصمت الدولي حيال الحرب المفتوحة التي تشنها تلك القوات، مستخدمة واحدة من اعتى آلات الحرب في العالم، ضد المدنيين العزل، ودون مراعاة لمبادي الضرورة والتناسب في استخدام آلتها الحربية المتطورة ضد رجال المقاومة الفلسطينية.

وحسب المركز الفلسطيني لحقوق الانسان فان عدم محاسبة مجرمي الحرب الاسرائيليين وقادتهم السياسيين الذين يأمرونهم باقتراف هذه الجرائم، ويعلنون ذلك على الملأ، وعجز المجتمع الدولي، وبخاصة الاطراف السامية المتعاقدة على اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949 بشان حماية المدنيين في وقت الحرب، في تفعيل الاتفاقية المذكورة في الاراضي الفلسطينية المحتلة، شكل من اشكال التصريح بالقتل يُعطى للقوة المحتلة.

كما ان المساواة بين القاتل والمقتول، في المواقف التي تتخذها دول العالم حيال تلك الجرائم، يعتبر تصريحاً آخر بالقتل.

للعلم فقط اقول ان عدد القتلى الذين سقطوا خلال النصف الثاني من هذا العام في قطاع غزة باعداد القتلى الذين سقطوا خلال عملية السور الواقي، التي نفذتها قوات الاحتلال عام 2002 في الضفة الغربية، وبخاصة في مخيم جنين ومدينة نابلس ومخيماتها. وكان اللافت خلال الانتفاضة استهداف تلك القوات للاطقم الصحافية والطبية، والذي ادى الى قتل واصابة عدد منهم، بهدف منعهم من القيام بواجبهم المهني، وعدم نقل الحقيقة للراي العام العالمي.

ضحايا الانتفاضة!

تفيد احصاءات للمركز الفلسطيني لحقوق الانسان انه وبانتهاء السنة السادسة من انتفاضة الاقصى يكون قد قُتِلَ (3859) مواطناً فلسطينياً في الضفة الغربية وقطاع غزة، بينهم (3069) مدنياً. ويشكل المدنيون الذين قتلوا خلال تلك الفترة نسبة 79,5 % من عدد القتلى. وكان من بين القتلى (724) طفلاً، اي ما نسبته 23 % من العدد الاجمالي للقتلى المدنيين، و(119) امراة، اي ما نسبته 4 % . واما الذين سقطوا في جرائم الاعدام خارج نطاق القضاء فبلغ عددهم (585) مواطناً، اي ما نسبته 19 % من العدد الاجمالي للقتلى المدنيين، بينهم (376) مستهدفاً و(209) غير مستهدفين، بينهم (71) طفلاً.

وبعد الادعاءات التي روجتها قوات الاحتلال عن انسحابها من قطاع غزة في شهر ايلول (سبتمبر) من العام الماضي، شنت تلك القوات، في اعقاب قتل جنديين اسرائيليين واسر ثالث على ايدي رجال المقاومة الفلسطينية بتاريخ 2006/6/25، حرباً مفتوحة في قطاع غزة، ما زالت مستمرة حتى صدور هذا التقرير. وقد حصدت هذه الحرب، التي اطلقت عليها قوات الاحتلال تسمية «امطار الصيف» حتى الآن ارواح (237) مواطناً في القطاع، 147 منهم من المدنيين العزل، من بينهم (53) طفلاً و(13) امراة، و(821) مصاباً، نحو 80 % منهم من المدنيين العزل، من بينهم (220) طفلاً و(35) امراة.

لقد اطلقت قوات الاحتلال اكثر من 260 صاروخ جو ـ ارض معظمها من طائرات (اف 16) باتجاه اهداف، معظمها مدنية، فضلاً عن اطلاق مئات القذائف المدفعية من البر والبحر. وعملت على تدمير مباني وزارات الداخلية والخارجية والاقتصاد الوطني ومكتب رئيس الوزراء في غزة، وتدمير عدة مؤسسات تعليمية، وتدمير محطة توليد الكهرباء، فضلاً عن تدمير عدة طرق تربط بين مناطق تنقل السكان المدنيين، وتجريف مئات الدونمات الزراعية في عدة مناطق من القطاع، وتدمير عشرات المنازل السكنية، وتدمير مقر المقاطعة في نابلس بعد تفجيره، وتدمير عدة مبانٍ حكومية ومقرات امنية، فضلاً عن تدمير 44 منزلاً سكنياً، تعود لعائلات نشطاء فلسطينيين في قطاع غزة بعد قصفها بالطيران الحربي. كما مارست تلك القوات ابشع عمليات التهجير القسري على غرار ما فعلته في العام 1948، عندما شردت مئات العائلات عن ديارهم. وبات من الواضح ان قوات الاحتلال تتذرع بحجج واهية لتدمير كل ما يمكن ان يشكل مصدر رزق او قوامة للعائلات الفلسطينية، من خلال تدميرها واسع النطاق للاراضي الزراعية والمنشآت التجارية والصناعية، التي تعتبر مصدر دخل رئيسياً لمئات العائلات الفلسطينية.

هذه الجرائم التي تتصاعد بين الحين والآخر، انعكست بشكل سلبي على مجمل الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمدنيين الفلسطينيين وادت الى شلل شبه كامل على ممارستهم لحقوقهم المدنية والسياسية.

هذا الحصاد المر للانتفاضة دفع ثمنه الشعب الفلسطيني بدمه الزكي، من اجل تحرير فلسطين، وهذا نضال مشروع وحتمي ومفروض علي كل فلسطيني والخشية ان يدفع هذا الشعب الصابر المزيد من الدماء في صراع لم يكن يرغب فيه او حتى يتوقعه نتيجه خلاف فتح وحماس الذي قد يتطور الى مواجهة مسلحة تقضي على امل الشعب الفلسطيني في الحرية والاستقلال ربما الي الابد، هنا يكون اهدار الدم غير مشروع، بل جريمة كبري لان القادة السياسيين في كلا الفصيلين انحرفوا عن مواجهة العدوان والاحتلال الذي قاموا من اجله الى ذبح الشعب الفلسطيني من اجل الكراسي الصدئه والحكم الفاشل والديموقرطية الزائفة التي خدعت الجميع من اسلامين وعلمانيين.

* صحافي من فلسطين يقيم في الامارات
jmajaida@hotmail.com

احمد موفق زيدان *

بين مشرف القديم ومشرف الجديد

■ البعض يعتقد ان مشرف اثناء وما بعد زيارته الى امريكا وبريطانيا ليس هو مشرف الذي عهده المجتمع الدولي فيبدو انه رمى بالقفاز او القناع في وجه الولايات المتحدة الامريكية وهي عادة الزعماء الباكستانيين قبل رحيلهم، هكذا حصل مع الرئيس ايوب خان حين كتب اصدقاء لا اسياد، وهكذا حصل مع رئيس الوزراء ذو الفقار علي بوتو حين اصر على بناء المشروع النووي فجوبه بتهديد وزير الخارجية الامريكي حينها هنري كيسنجر بالقول ساجعل منك امثولة، وهكذا بكى الرئيس الراحل ضياء الحق على شاشات التلفزيون قبل تحطم طائرته وقال قولته المشهورة: «ان من يتعامل مع امريكا كمن يتعامل في تجارة الفحم لن يناله في النهاية الا سواد الوجه واليدين». وهكذا يحصل على ما يبدو مع مشرف.

زيارة الرئيس الباكستاني برفيز مشرف الى واشنطن ولندن اعلامية بامتياز، لكنها كانت على الضد سياسيا وديبلوماسيا، فاستقبال الرئيس الامريكي لنظيره الافغاني كارزاي كان اشد حفاوة من استقباله مشرف.

مشرف الذي لجأ خلال زيارته الى الترويج لكتابه واجراء المقابلات التلفزيونية احرج بذلك الرئيس بوش ان كان على مستوى حديثه عن تلقي بلاده لملايين الدولارات مقابل تسليمه عناصر يشتبه بانها ارهابية، او حديثه عن تهديد واشنطن لاسلام آباد باعادتها الى العصور الحجرية ان لم تقف في صفها.

مشرف نعت كارزاي بالنعامة، بينما رد عليه الاخير بالقول ان مشرف كمن يربي الثعابين ولا يعرف متى ستلدغه، هذا الامر ترتب عليه عدم المصافحة بينهما خلال استقبالهما من قبل الرئيس بوش في البيت الابيض.

تربية الثعابين التي قصدها كارزاي تشير الى اتفاق مشرف الاخير مع المسلحين القبليين الموالين للقاعدة وطالبان في شمال وزيراستان وهو ما ازعج واشنطن وكابول كونه سيزيد من متاعبهم في الجنوب الافغاني خصوصا وان جدال الرئيس الافغاني ان العمليات في الجنوب الافغاني تصاعدت بعد هذا الاتفاق، لكنه لم يعترف ان المشكلة ليست في المناطق التي تحاذي القبائل وانما في جنوب غرب افغانستان فضلا عن كابول.

لكن الرئيس الباكستاني اوضح ان مشكلة افغانستان لا تكمن في شمال وزيراستان وجنوبها وانما تكمن في داخل افغانستان بتهميش الاغلبية البشتونية التي تنتمي اليها طالبان وحذر بالمقابل من انتفاضة بشتونية، ان لم يتم البحث عن حل سياسي.

مشرف سعى للبحث عن مخرج لواشنطن المحرجة من اي تعامل مع طالبان حين تحدث عن وجود قوى ثلاث تقاوم في افغانستان الآن وهي الحزب الاسلامي بزعامة قلب الدين حكمتيار، ومجموعة القائد جلال الدين حقاني بالاضافة الى حركة طالبان.

لكن مشرف الجديد الذي يسعى الى استثمار صورته في الخارج ما ان وطئت اقدامه لندن حتى فوجئ بتقرير استخباراتي بريطاني يدعو الى تفكيك جهاز المخابرات العسكرية الباكستانية الذي يتهمه التقرير بدعم حركة طالبان، وهو ما رد عليه مشرف بشدة قائلا ان مخابراته كسرت ظهر القاعدة، وانه لولا الدعم الذي قدمته المخابرات العسكرية الباكستانية الى الغرب لما نجح الغرب في افغانستان، وان تحطيم سور برلين بفضل المخابرات العسكرية التي دربت المجاهدين الافغان وهزموا الاتحاد السوفييتي في الثمانينيات.

نيودلهي وكالعادة استغلت الهجمة الغربية على المخابرات العسكرية الباكستانية التي ترى فيها العدو الباكستاني الاساسي فوجه قائد شرطة مومباي اتهاما لها بالضلوع في تفجيرات المدينة العام الماضي، لكن يبدو ان الهجمة على المخابرات العسكرية الباكستانية جاء بعد كلام الرئيس الباكستاني مشرف ان رئيس الجهاز ايام احداث ايلول (سبتمبر) الجنرال محمود احمد هو الذي نقل له تهديد نائب وزير الخارجية الامريكي ريتشارد ارميتاج في اعادة باكستان الى العصور الحجرية ما لم تقف الى جانب امريكا في حربها على القاعدة وطالبان وهو ما احرج القيادة الامريكية داخليا، فردت على ما يظهر بتعبئة حملة ضد الجهاز للثأر لنفسها.

داخليا كسبت المعارضة نقاطا على خصمها مشرف حين تحدث عن ضغوط امريكية اجبرته على دعم الحرب على ما يوصف بالارهاب، ينضاف الى ذلك كما يرى البعض انزعاج وسط المؤسسة العسكرية والبيروقرطية لحديثه بهذه الطريقة التي احرجها في كون باكستان دولة تخضع للضغوط والابتزاز بعيدا عن المصالح القومية والوطنية التي كانت الحكومة تتحدث عنها.

* اعلامي من سورية